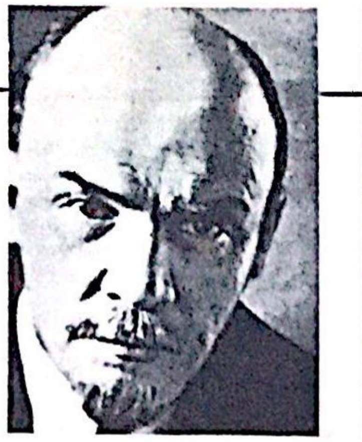

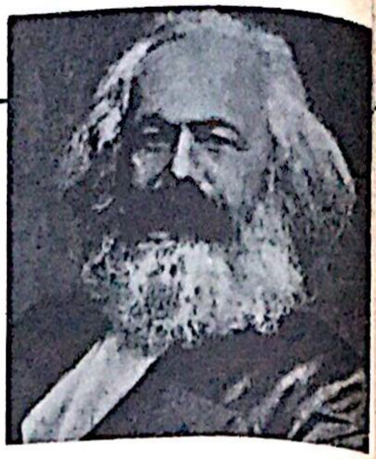

حول مسألة تحرّر المرأة والثورة

بقلم : أبو أنمار

تحتل مسالة تحرر المراة في الثورة مكانة هامة ، لدورها الاساسي الى جانب الرجل ، وخاصة في معارك التحرر الوطني الديمقراطية ، لكون المراة في المجتمعات المتخلفة ، مشلولة ومعطلة عن العمل الجاد ، لتخلف المجتمع ونظرته لها . لهذا فان طرق موضوع تحررها ودورها لا بد ان يلقى عراقيل ومصاعب كبيرة ، تعتبر جزء من التراث اليميني والرجعي الذي يجب محاربته ، واقتلاعه من المجتمع العربي ، ومقال الرفيق « ابو انمار » يلامس بعض جوانب الموضوع كوجهة نظر ، لا بد من اشباعها بالنقاش والنقد البناء ، وسوف ننشر على حلقتين ،هذه الاولى مقدمة للموضوع

« الهدف »

ان اوضح علاقة جدليه بين موضوعين ، هي العلاقة ما بين الثورة وقضية تحرر المراة . بل ان موضوعة تحرر المراة هي المرادف الذي يعطي لاي تغيير صفة الثورة اذا ما رافقه ، والسبب واضح ليس لكون المراة تشكل عدديا نصف المجتمع ولكن لكون صفة الاستغلال والاضطهاد تظهر بشكل واضح ورئيسي على المراة . بل ان طابع الاستغلال الاكثر عسفا واستغلالا واضطهادا وبصورة مركبة ينصب على المراة في المجتمعات الراسمالية والشبه اقطاعية دون تمييز بين المراة البرجوازية والبروليتارية .

وفي هذا المجال يقول ماوتسي تونغ : « تسيطر على الرجال ثلاثة انظمة من السلطان ، السلطان السياسي ، السلطان العشائري ، والسلطان الديني .. اما النساء فالى جانب خضوعهن لسيطرة الانظمة الثلاث السالفة الذكر ، يخضعن كذلك لسيطرة الرجال « سلطان الزواج » وهذه الانواع الاربعة من السلطان ـ السياسي والديني والعشائري والزواج ـ تمثل عقلية ونظام الابوة الاقطاعي .. » (١)

من هنا تظهر جدلية العلاقه محسمه بحيث يصعب القول بامكانية تحرر المراه ، بالنضال الديمقراطي الذي تقوم به الحركات النسوية بعيدا عن الصراع الطبقي وتحرير المجتمع ككل . او الادعاء بانتصار ثورة دون ان يكون للمراة دور بارز فيها ، سواء في بلد متقدم (راسمالي) او متخلف ، وسواء في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي او بعد انتصارها في مرحلة البناء الاجتماعي والاشتراكي. لان الثورة الحقيقية تعني فيما تعنيه انهاء استلاب الانسان واعادته الى جوهره الانساني ، من خلال قلب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وتغيير التركيب السياسي للسلطه . والثورة بهذا المعنى تستهدف تغيير وفك قوانين وقيود النظام الاستغلالي ، التي تحد من حرية الانسان وتكبله وتستعبده لمصلحة الطبقات المستغله (بكسر الغين) . وهذا يعني ان ثورة تحمل هذه الرسالة التحررية والانسانية لا يمكن ان تنتصر على قوانين العالم القديم الراسخة الجذور في المجتمع ما لم تستنفر كل المستغلين (بفتح الغين) بجميع قومياتهم وطوائفهم واجناسهم .

ولأن المراة نصف المجتمع الذي يتعرض للنصيب الاكبر من الاضطهاد والاستغلال الذي يمارسه البرجوازيون لهذا فان دورها سيكون اساسي ورئيسي فيعملية التغيير الثوري المرتبط بالصراع الطبقي اذا ما وعت واقعها المهين وانتظمت وتعبأت لهذه الغاية . والثورة ان لم تتجه بشكل جذري وعملي الى تحرير المراة من استلاب العادات والتقاليد التي افرزها المجتمع البرجوازي وسلسلة المحرمات الغيبية المولدة

(١) تقرير عن تحقيقات من حركة الفلاحين في خونان ـ ماوتسي تونغ ـ المجلد الاول .

عن الثقافة الاقطاعية الكهنوتية ، لا يمكن على الاطلاق ان تحمل صفة الثورة لانها ابقت نصف المجتمع يعيش تحت طائلة النظام القديم ، فالثورة الاجتماعية والسياسية يجب ان لا تستهدف تحرير جنس او نوع او قومية معينة دون سواها ، بل يجب ان يكون هدفها احلال الحقيقة البروليتارية بدل الحقيقه البرجوازية ، من خلال عملية التغير ، وهذا يعني تغيرا لنمط علاقات الانتاج والعلاقات الاجتماعية والانسانية المترتبة عنها ونسف كل الارتباطات القائمة على اساس شوفيني او جنسي ، وتنظر للمراة ليس من خلال المعطيات البيولوجية بل بشكل مطلق كانسان مضطهد في المجتمع .

الا اذا كان لها في المجال العملي قيمة واقعية لان دور المراة لا يتحدد بوجودها الانثوي فقط بل يتحدد بوضع ملازم لاقتصاد المجتمع الذي تنتمي اليه ، وهذا ما تؤكده نظرية انجلس في « اساس العائلة » القائلة بان مستقبل المراة مرهون بمستقبل العامل وبتقدم العلم والانسانية.

ومن هنا بدات المراة الطلائعية تقوم بدور فعال ومساو لدور الرجل تقريبا في النضال من اجل التقدم العلمي والاجتماعي من خلال نضالها ضد الاستغلال في القطر الذي تنتمي اليه ، وعلى الصعيد العالمي بمناهضتها للقوى الامبرياليه(٢) .

وفي البلدان المتخلفة حيث تتعرض المراة لاضطهاد مضاعف فيما لو قورن بوضعها في البلدان المتقدمة صناعيا (الراسمالية) بحكم التخلف الذي تعاني منه هذه المجتمعات ، الذي يجعلها اقل استعدادا لتقبل التطور المنشود في العلاقات الاجتماعية . لذا يتطلب تحريرها جهدا كبيرا . الا ان الذي يختصر الزمن فيها من اجل تحرير المراة هو مساهمتها الكبيرة في معارك التحرر الوطني الديمقراطي(٣) ، حيث فرضت

(٢) تقول ناديا حانم في الحلقة السا... لمؤتمر شعوب الشرق الاول . ان الحركة التي بداتها النساء لا يجوز النظر اليها من وجهة نظر انصار حقوق النساء غير المجديات اللواتي يعتبرن ان دور المراة في الحياة العامة كدمية رقيقة او دمية جميلة . وتضيف

(... فليتذكر رفاقنا المندوبون المكلفون بمهمة عظيمة ، مهمة نشر مبادىء الثورة العظيمة من افكارهم ، فليتذكروا ان كل الجهود المبذولة لتأمين رفاه شعوبهم ستظل عقيمة دون مشاركة حقيقية من المراة

(٣) تقول لينين في برنامج البروليتاريا العسكري ... ان النساء البروليتاريات لن يقفن مكتوفات الايدي حينما تعمد البرجوازية الحسنة السلاح الى اطلاق النار على العمال السيئي السلاح او العزل من السلاح ، سيحملن الاسلحة كما في ١٨٧٠ . (المقصود ايام كومونة باريس التي قاتلت فيها النساء الى جانب الرجال والاولاد)

هذه المساهمة على القوى الوطنية والثورية ضرورة التوجه للمراة حتى تتمكن من تادية دورها على الوجه الاكمل ، فسعى معظم حركات التحرر الوطني الديمقراطي لتربية مناضلات طليعيات واعيات في التزامهن الايديولوجي وممارستهن الثورية كي يعمقن بدورهن في العمق الاستراتيجي الهادف الى تطوير الثورة الوطنية المسلحة ودفعها الى الامام في الطريق الجذري، وبالاضافة الى التوجه التربوي والتنظيمي الذي تقوم به القوى الثورية تجاه المراة فالمساهمة نفسها تلعب دورا اساسيا في عمليه التثوير . ولكن يجب ان نعي مسالة ان الفكر الذي يتيح للمراة حرية القيام بدورها الوطني والطبقي ، كما يجب هو الفكر « الماركسي ـ اللينيني » فقط لانه الفكر الذي يوجه معركة الصراع الايديولوجي من اجل تحرر المجتمع وقواه الوطنية من عقم الثقافات الرجعية السائدة والعادات البالية ومن ثقافات وعادات البرجوازيين التي نرى في النموذج الاوروبي لتحرير المراة هو تحويلها الى سلعة ودمية بهدف جعل المجال اكثر خصبا للاسواق الاستهلاكية حتىتحقق حلمالبرجوازيين والشركات الاحتكارية الراسمالية بالربح الوفير والسريع .

بهذا الفكر وحده تستطيع المراة انتزاع حريتها الكاملة بما فيه حق التمتع باثمن ما منحتها الطبيعه وبالشكل الذي لا يتعارض والتطور الحضاري الذي وصلت اليه الانسانية في هذا المجال .

الا ان حجز الحرية والاضطهاد والاستثمار ليس هو المرض الوحيد الذي تعاني منه المراة في البلدان المتخلفة بل هناك امراض كثيرة لكونها البؤرة التي يصب فيها المجتمع كل عناوين التخلف ، لانها محاصرة وممنوعة من الاطلال على الثقافة الجديدة . صحيح ان المجتمع باسره متعرض لها ايضا الا ان المراة لها النصيب الاكبر ، فملايين النساء تعاني من مشاكل التقدم الاقتصادي والثقافي واهمها انتشار الامية بنسبة كبيرة تفوق الرجال مئات المرات ، والاحصائيات التالية تؤيد ذلك ، حيث يوجد في العالم من مئات الملايين الاميين المتمركزين بصورة رئيسية في اسيا وافريقيا وامركا اللاتينيه وازدياد الارقام من سنة لاخرى ، ولنلاحظ الاحصائيات التي قدمتها اليونسكو في مؤتمر حقوق الانسان عام ١٩٦٨ في مونتريال ، في عام ١٩٥٠ كان يوجد ٧٠٠ مليون امي من السكان البالغين من اصل ١٥٧٥ ، وفي عام ١٩٦٦ ارتفع الرقم الى ٧٤٠ مليون امي والمعطيات الاولية تضع ٨١٠ مليون رقما للاميين ان ٨٦٪ من الاميين في العالم هم من النساء وفي مجموعة من تتراوح اعمارهن ما بين ١٥ و ٤٥ عاما تبلغ الامية بين النساء ضعفي الرجال .

ان المراة التي لا تستطيع ان تقرا ، لا تتمتع بفوائد الكلمة المكتوبة وهذا يضعها بمركز تابع ويحرمها من فرص المشاركة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعامة ، بل وحتى الاستفادة من حقوقها الثانوية المضمونة بقوانين الانظمة البرجوازية ، وهذا الوضع يؤثر على مركزها كمعلمة اولى للاطفال ، كما يؤثر على العائلة ويؤخر من عملية وعيها وتقدمها وبالتالي المجتمع ككل ، وينبغي ان يكون واضحا تماما انه لا يمكن لاي بلد يستثني ملايين النساء من الشؤون الاقتصادية والاجتماعية دون ان يزج بنفسه في مازق التخلف عن مجالات التقدم كلها لانه عاجز عن استخدام نصف المجتمع . فكيف بلدان تحتاج يوميا الى جهد المراة ليس في البناء الاقتصادي وانما في النضال ضد الامبريالية والاستعمار .

من هنا تصبح الضرورة الى دور المراة في البلدان المتخلفه مساله مركزيه لان تحرر البلد وتقدمه مرتبط بها . بل ان مساله تحرر المراة اصبحت في هذا العصر اهم المعايير التي يقاس بواسطتها مدى تقدم المجتمع او تخلفه ، كما يقول ماركس : « ان تطور اي شعب من الشعوب يقاس بدرجة تطور المراة» كما تقاس حضارة وتقدم الامم من خلال كمية استهلاكها للكهرباء .

اما في الوطن العربي الذي يحمل سمات البلدان الشرقية المتخلفة ،ويختلف بالتالي عن المجتمعات الاوروبية الغربية ، لكنه يختلف ايضا عن بقية البلدان المتخلفه لانه يحمل بعض الخصوصيات لسيادة الافكار الغيبية والمحرمات الناتجه منها الممتده مئات السنين في جذور المجتمع بحيث اصبحت عادات وتقاليد مميزة بالمجتمع العربي . هذه التقاليد التي جعلت الزمخشري يقول في كتابه « غريب الحديث » وفي صفحة ٢٧٣ ان الارملة مبغوضه (اذا مست شيئا اتلفته) ، وهذه العقيدة عن الارملة سائدة في المنطقة العربية ، والا لما تحولت الى مسالة يتناولها كاتب عربي كقضية مسلم بها .

وهكذا تحول الانسان العربي كما يقول اناتول فرانس « يولد وله لحية » .

اي اننا نولد ونحن نحمل العادات والتقاليد القديمة التي اسس بها مجتمعنا تلك العادات والتقاليد التي تجعلنا شيوخا ونحن في المهد ، ومن هذه التقاليد احتقار الارملة ومنها احتقار المراة بشكل عام سواء كانت عذراء ام متزوجة دون ان نعي اننا والمراة ثمره الف مليون سنه من التطور وبالتالي فان نظرتنا تجاهها بهذا الشكل لا يمكن ان توصف الا بقمة التخلف ، علما بان العديد من فلاسفة العرب القدامى المسلمين كانوا يقفون من المراة موقفا علميا صحيحا بعكس ما ورثناه من عادات وتقاليد مفرزة من عهود الظلام والتخلف التي سادت في الوطن العربي . فاقوال اولئك الفلاسفة مطابقة للنظرة العلمية الحالية من المراة فابن رشد الفيلسوف الاندلسي كتب قبل ٨٠٠ سنة يقول :

« يجب على النساء ان يقمن بخدمه المجتمع والدولة قيام الرجال ، وان الكثير من فقر عصره (عصر ابن رشد) وشقاءه يرجع الى ان الرجل يمسك المراة لنفسه كانها نبات او حيوان اليف لمجرد متاع بدلا من ان يمكنها من المشاركه في انتاج الثروة المادية والعقلية وفي حفظها » (٤)

طبعا ان اوضاع المراة العربية تختلف في بعض اجزاء من الوطن العربي عن الاجزاء الاخرى فقد نجد في منطقة ان حالة المراة اسعد ما تكون عن العصر الحاضر الذي تعيشه المنطقة ليس من خلال النظرة لها فقط بل ولطبيعة وسائل الانتاج ايضا (٥) .

الا ان اوضاع المراة بشكل عام ونظرة الرجل لها وطابعها ، عدا ما ورد في هامش(٥) عبارة

(٤) كتاب المراة ليست لعبة الرجل ـ سلامه موسى ـ

(٥) في ظفار حيث يمر المجتمع بمرحلة الانتاج الرعوي ، وهذه المرحلة تتمتع فيها المراة باستقلال اقتصادي وهذا الاستقلال يساويها بالرجل ، كما ان للثورة دور في تقنين هذه الحالة لمنع دخول الثقافة الاقطاعية للمنطقه

عن لعبة للهو وخادمة ومنجبة للاطفال وطبخ الطعام ، وتوصف دائما بالتخلف والجبن وعدم الذكاء ، ناسين ان اسباب هذه الامراض ليست ناتجة عن التركيب البيولوجي للمراة بل لكونها محبوسه بين اربعه جدران ، وبالتالي فان الاعمال التي تقوم بها في البيت لا تستدعي الذكاء ولا الشجاعه ، بل ان الحصول على هذه الصفات لا يأتي الا من خلال الاختلاط الاجتماعي والعمل خارج البيت ، فللرجل دور اساسي في تخلفها ، لانه ابقاها في البيت وارادها « انثى زاهية اللابس مصقلة الشعر ، مجلوة البشرة ، تخشخش بالذهب والماس » وبالتالي تعلمت ان همها الوحيد ليس الذكاء والشجاعه والمعرفة بل جمالها الجنسي وبالتالي طبعت سيكولوجيا هكذا وتسبب القمع الاجتماعي الاشاريه والقصر عملها للزوج والبيت ، مما جعلها تقف باستمرار ضد اتجاهات زوجها الاجتماعيه والسياسية ، وهذه الحاله نتيجه طبيعية لمقابلة بالمثل ، اي حب الاملاك الذي يمارسه الرجل على المراة وهذا ما يحصده نتيجة خطاه ، وكذلك اولاده الذي سيكون معلمهم الاول .

ان هذه الحاله طبيعيه فيما لو نظرنا الى طبيعة التربية الروحية التي يتعلمها الانسان العربي في المجتمع ، وملخصها انه سيد المراة التي خلقت للبيت وتربية الاولاد ، ولهذا يعاملها كاداة من ادوات المنزل وكثيرا ما تزيد هذه الادوات مستقلا ما يسمح به التربية الروحية .

وفي هذا المجال تحدث شيخ الازهر عام ١٩٥٥ عن تعدد الزوجات فمدحه ودعى اليه ، وبعد اسابيع نشرت الصحف المصريه خبرا عجيبا هو ان احد الشبان الاثرياء تزوج ٤٢ امراه طلق منهن ٤٠ واستبقى اثنتين ، واشتبك في احدى القضايا التي جعلت وكيل النيابة يقف على هذا الخبر ، وعندما ساله لماذا تزوجت كل هذا العدد من النساء اجاب بسهوله : انه لم يجد ما يعيبه وان تصرفه حق . ونستطيع القول انه سار على راي شيخ الازهر في مدحه لتعدد الزوجات(٦) .

وطبعا هذه الحالة فيها منتهى الاهانة والمذلة لانسانية المراة حيث تحرم من حق التمتع بانوثتها بينما يسمح للرجل بان ياخذ حريته كما يشاء ! والصحيح هو توطيد العلاقات الانسانية بين الجنسين وفق مبادىء الماركسيه اللينينية .

في الاونة الاخيرة حصلت المراة على نوع من الحريه ، ومرد هذه الحاله هو انتقال السلطة في اجزاء من الوطن العربي من ايدي التحكم الشبه اقطاعي الى ايدي البرجوازيه فاعطت هذه السلطات شيئا من الحرية ، لكن هذه الحرية لا قيمة عملية لها من انها اخرجت المراة من الحجاب الاقطاعي واعطها حق ارتداء الازياء الاوروبية ومرد ذلك هو رغبة الطبقة البرجوازيه في توسيع ارباحها ببيع المنتجات الاستهلاكيه المحلية او المستوردة ، وهذه الحالة من التحرر الزائف الذي حصلت عليه المراة فتح الاسواق الرائجه للمنتجات الاستهلاكيه الكمالية . وبالاضافة الى عمليه تطور المجتمع الاقتصادية والسياسية وبالتالي الاجتماعيه ، نشطت حالة من الرفض للواقع الفاسد قامبها العديد من الكتاب والمثقفين المنادين بحرية المراة وحقها بتادية دورها في المجتمع ، ولكن الممارسات العملية لهذا النشاط

(٦) كتاب : المراة ليست لعبة الرجل ـ سلامه موسى ـ

الثقافي لا تزال بعيدة عن الواقع المادي الملموس الذي يعيشه الوطن العربي ، بل حتى اصحاب تلك الاطروحات عمليا بقوا مشدودين الى التراث الثقافي البرجوازي وكذلك الحركات السياسية الديمقراطية ظلت هي الاخرى اسيره الركائز والاوتاد الاستعماريه التيرسخها ثقافات الاقطاع وكان هذه الركائز تمثل رمز الاباء والاجداد ، وبالتالي فمن الواجب الاحتفاظ والاعتزاز بها لانها البركة والخير ، وبالتالي لا يجوز تركها !.

امام هذه الصورة تتأكد الطبيعة المتخلفة للمجتمع العربي وبالتالي لم يتخلص من اثارها حتى المثقفين وستبقى هذه الحالة ما لم يشن نضالا ايديولوجيا وسياسيا ضد التخلف والاضطهاد والاستغلال الذي ترزح تحت نيره جماهير الكادحين وفي مقدمهم المراة كما هي ، كما يقول ماو : « ان هذا يشبه كنس الارض فهناك قانون ، حينما لا تصل المكنسة فان الغبار لا يذهب من تلقاء نفسه » .

فالتخلف والاستغلال لا يذهب من تلقاء نفسه لانه مرتبط بثقافة طبقاتواقتصاد طبقات وتحرسه ادوات قمعية تابعة لتلك الطبقات المتسلطة ماديا وروحيا .

ولاجل ربط الواقع الراهن الذي يؤكد ان تحرر المراة مرتبط جدليا بتحرر المجتمع من علاقات الانتاج الراسمالية لا بد من العوده بشكل سريع لاصل العائلة وتطور الانتاج وعلاقاته الانتاج من تشكيلها والعلاقة فيما بين اعضائها كي نثبت ان العلاقات الاجتماعية التي تسود في فترة تطور المجتمع الانساني هي انعكاس لعلاقات الانتاج السائدة في تلك الفترة .

اصل الاسرة في تطور المجتمع الانساني

لقد مر المجتمع الانساني بعدة مراحل بعد ان اجتاز مرحلة القطيع البدائي ، ويفرض العلم ان النظام العشائري ظهر في العصر الحجري القديم عندما ظهرت الملامح الفيزيائية لنموذج الانسان الراهن . حيث سمح تطور الانتاج بنشوء جماعة بشرية اشد ثباتا واستقرارا من القطيع البدائي ، عندئذ ظهرت العشيرة التي كانت شكلا معينا لاجتماعية الانسان الاولي ، وخلية انتاجية موحدة ، وشكلا للتنظيم الاجتماعي في المجتمع البدائي في آن واحد . (٧)

كانت العشيرة تضم جماعة من الناس تجمعهم صلة القربى من ناحية الام يفسره الدور الذي كانت تلعبه المراة في اقتصاد العشيرة ، وزواجها من رجال عديدين بشكل يصعب معه تمييز الاب الحقيقي ولهذا ينسب الابناء الى الامهات في العشيرة . وكانت علاقات الزواج بين افراد العشيرة الواحدة محرمة وحيثيات ، ذلك التحريم هو منع زواج الاخوة بالاخوات ، لانهم مرتبطون برابطة الدم عن طريق الام ، وتقوم علاقات الزواج بين العشائر داخل القبيله ، وبالنسبة للملكية كان لكل قبيلة اراضي خاصة بها واسس علاقات اجتماعية بين اعضائها ، يتساوى فيها الجميع بالحقوق والواجبات .

اما نوع العلاقة الانسانية ـ الجنسية فقد كانت قائمة على اسس متساهلة ، وملكية وسائل الانتاج جماعية والثروات موزعة بالتساوي على افراد المجتمع ، ونتيجة تقسيم العمل هنا لعبت

(٧) اصل العائلة والملكيه الخاصة ـ انجلز

المراة دورا اساسيا في انتاج ادوات الحياة المباشرة فهي التي تنتج النوع بيولوجيا لذا وقعت عليها مسؤولية اعالة واغاثة الاطفال ، فمارست مهمات جمع الطعام وتدجين الحيوانات والزراعه البدائيه وصناعه الالبسة والاوعية وبناء البيوت ، وهي التي تخلق ادوات المجتمع وتطور مهاراته . وكانت المراة وسيلة نقل هذا التراث للجيل الجديد ، هذا في مرحلة الامومة حيث كانت النساء في تلك الفترة من التاريخ مستقلات اقتصاديا واجتماعيا . لكن تطور وسائل الانتاج بادخال تربية الماشية وصقل المعادن ثم الزراعه وانتقال ملكية القطعان نهائيا للعائلة وحاجة هذه القطعان للمراعي ، احدث هذا التطور نموا في ثروات العوائل بسرعه فاخذت العشيرة تخضع تدريجيا للعائلة بحكم هذه التغيرات الاقتصادية وبدات العشيرة تتفكك وتسود عائلة الرئيس الابوية الرعوية (البطريركية) ودخلت العشيرة والعائلة في علاقات تناحرية ، وبدلا من العشيرة اصبحت العائلة هي الوحدة الاقتصادية وبالتالي بدات الحالة الجنينية لعهد الابوة البطريركي بينا كانت العائلة البشرية هي الام مع اطفالها بلا اب ، وكان قوتهم جذور الاشجار والثمار ولم يكن لهذه العائلة من الالات الا الحجارة التي تستدق للحفر وقطع الثمار ، ولكن هذه العائلة تغيرت بعد ذلك من عائلة الام الى عائلة الاب حين عرف الانسان البدائي الصيد ، حيث ادى الى نتيجتين(٨) .

اولا : ان يتعاون الرجال على رصد الحيوانات التي يراد صيدها ، بل يكمنوا لها في اكثر من موقع حتى اذا ظهرت هجموا عليها ، ولكن اذا كان الحيوان قويا كالجاموس ، فقد كانوا يهيئون له حفرة عندما يريدون صيده ، ولم يخرج في هذه المرحله للصيد سوى الرجال لان المراة كانت على الدوام حاملا او مرضعا او يتبعها الصغار وبالتالي فهي في حاله خطر ان ذهبت الى الصيد ، ولذلك اقتصر الصيد على الرجال فنشا مجتمع الرجال .

ثانيا : اصبحت المراه لعجزها عن الصيد ترضى بالاستجابة الجنسية للرجل وتربي الاطفال والرجل يمنحها شيئا من صيده ، ومن هنا نشات سلطه الرجل على المراه ، ولم يكن الصيد ممكنا للفرد وحده فنشا التعاون بين الرجال ، اي المجتمع البشري . وهكذا نشا البيت والعائلة الابويه واصبح للزوج سلطه على الزوجة ، وبهذا تغير رئيس التنظيم الاموي للعشيرة الذي كان في البدء على انسجام مع المجتمع العشيري ، ليحل بدله تدريجيا شيخ العائلة الابوي مكتسبا بذلك سيطرة اقتصادية،ثم تحول الى شيخ اكبر ورئيس ابوي للقبيلة جمعاء .

اذن بدا التمايز الطبقي ما بين العائلة والزعيم ، والعشائر الدنيا التابعة للقبيلة . وفي عملية التحول من عهد الامومة الى نظام الابوة اكتسبت العائلة بالاضافة الى وظيفتها الاقتصادية وظيفه اكثر مدلولا ، وهي مهمة تحويل البنية البشرية من بنيه عضو حر في عشيرة الى بنية عضو في العائلة مضطهد (بفتح الهاء) .

ان العائلة باختلافها عن العشيرة ، تظهر لنا بوضوح كبير هذه الوظيفة لاختلافها عن العشيرة

(٨) المادية التاريخية ـ مجموعة من الاساتذة السوفيات .

بحيث اصبحت مصدر التمايز الطبقي ومصدر القمع الاجتماعي في داخلها وخارجها على حد سواء .

ان الشخص العائلي الذي يتطور حينئذ يشترك في بنيه بتجديد انتاجالتنظيم الابوي (البطريركي) الطبقي . والالية الاساسية لعملية تجدد الانتاج هذه هي الانفصال من تبرعم النشاة والحياة الجنسية الى قمعها ، واساس هذه الاليه هي سيطرة الرئيس الاقتصادية . هذا التطور سدد ضربة قوية الى نظام المجتمع المؤسس على الزواج الثنائي العشائري ، فظهر الى جانب الام الحقيقية الاب الحقيقي وبموجب تقسيم العمل الساري المفعول انذاك في العائلة الفرديه ، اصبح للاب ملكيه ادوات العمل التي كان ياخذها معه عندما يفسخ الزواج ، بينما الزوجة تحتفظ بالانيه المنزليه .

وبموجب العرف والعادات السائدة في المجتمع انذاك امتلك الاب مصدر الغذاء الجديد ، القطيع ومالكا لاداة العمل الجديدة ، اي العبد، وهكذا كان لانتقال الثروة الى يد الرجل وتناقصها من المراة اعطى للرجل مركزا اهم بكثير من مركز المراة .. وطبعا نتج عن هذا التطور صيرورة الميراث من الاب للاولاد ، بينما كان هذا الحق في المجتمع العشيري ، لا يسمح بانتقال الميراث من الاب للابناء لانه مخالف للاعراف والتقاليد .

وهكذا بدات الهزيمة التاريخية للام (الجنس الثاني) بانتقال وسائل الانتاج الى الاب ، ولكن الهزيمة اثرت على الرجل ايضا والمجتمع بشكل عام ، فالملكية هي سبب العدوانية والانانية في عالمنا الراهن وهي اساس التخلف الانساني فالانسان قد يملك ارض او ادوات انتاج او اي شيء اخر فالمساله هنا بسيطة فيما لو قيست بملكية الانسان للانسان وتعبيرها الاكثر بشاعة ملكيه المراة والعبد ..! ولكن نشا الاثنين مع بعض وسيزولان مع بعض ولهذا فلا امكانية للكلام عن قضية تحرر المراة بمعزل عن البيئة الاقتصاديه والاجتماعية والسياسية التي قسمت ووزعت الثروات والامكانيات حسب تفكير معين وايديولوجية شاملة ، ومن خلال علاقه الكائن الانثوي بالكائن الذكر ، السيد بالمسود ، منذ ان استلم الزوج دفة القيادة في البيت وحتى الان . حيث حرمها من مركزها المشرف وغدت عبدة رغبات زوجها واصبحت اداة بسيطة لانتاج الادوات .

ان وضع المراة المذل هذا ، وصلت اليه لانتقال المادة الى يد الرجل ، ومع سلطه الرجل تغير شكل العائلة الى ابوي .

ويضيف ماركس قائلا : « ان العائلة العصرية لا تنطوي على جنين العبودية وحسب ، بل ايضا على جنين القنانة لانها مقرونة منذ بادىء ذي بدء بفرض خدمات الزراعة ، وهي تنطوي بشكل مصغر على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع وفي الدولة » .

ويقول انجلز : « ان العائلة الفرديه ، امينة لنشئها التاريخي ـ في فرض سيادة الرجل المطلقه ، وصورة مصغرة عن تلك التناحرات والتناقضات التي يتحرك في داخلها المجتمع المنقسم الى طبقات منذ بدايه عصر الحضارة » .

البقية في العدد القادم